Horizons of Islamic Civilization, **Institute for Humanities and Cultural Studies (IHCS)**
Biannual Journal, Vol. 24, No. 2, Autumn and Winter 2021-2022, 143-166
DOI: 10.30465/AFG.2022.6685

Aesthetic Definition in Surat Al-Malik Al-Mubarak

Ramazan Rezaei*

Yadollah Rafiei**

Abstract

One of the important issues in the rhetoric subject of the definition, which falls under the issues of semantics, and because of its use of high rhetorical purposes that can be discerned in the Qur'an, that is, tracing the use of the word is a likely knowledge of what it contains of meaning that cannot be expressed in denial. Expression is considered one of the rhetorical methods that are required by the conditions of the addressees and the speaker intends it, and grammarians have spoken about it in purely syntactic terms, and rhetoric scholars spoke about it from another angle and another field where they talked about the purposes and reasons for which the definition is.

Each science has its own terminology that helps to control and codify it, and these terms are not a product of science itself, but rather a manifestation of the semantic development of the word, so the word "term" comes to rise in a new meaning that carries with it previous connotations that it passed through in its long history. The term "definition" has moved from grammar to rhetoric with its wording and connotation. Rhetoric scholars have benefited from these meanings and employed them in a way that serves their study of the rhetorical issues related to them. It is noticed that the term "definition" is more common in rhetoric books than in grammar books because the definition is related to the discursive and rhetoric more. Adhesion to the addressee of grammar.

* Associate Professor, Department of Arabic, Institute of Humanities and Cultural Studies, Tehran, Iran (Corresponding Author), drr_rezaei@yahoo.com

** Assistant Professor of Arabic Department, Institute of Humanities and Cultural Studies, Tehran, Iran, Rafiei_y20@yahoo.com

Date received: 04/05/2021, Date of acceptance: 31/08/2021

Copyright © 2010, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article. This work is licensed under the Creative Commons Attribution 4.0 International License. To view a copy of this license, visit http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/ or send a letter to Creative Commons, PO Box 1866, Mountain View, CA 94042, USA.

The issue of definition has received great attention among rhetoricians, as there is hardly a book on rhetoric in the past or recent, and this issue began like other issues of rhetoric that are not codified or disciplined, and they are only fragments here and there, and the ruling on them is due to good character and good taste, as we see when Al-Jarjani in his evidence, and Al-Zamakhshari in his interpretation. After that, I took this matter with discipline and constraint, so it was specific rules and matters of order, and this codification began since al-Sakaki in the Book of Muftah, where the third part of it was devoted to the sciences of rhetoric, then came al-Qazwini and summarized the third part of al-Muftah and refined it in the book of summary, then put an explanation for this The summary is in the book of clarification, and the matter continued for those who followed it between an explanation, a summary and a regulator of this art through the key, its summarization, and the clarification of the summary.

The rhetoricians dealt with this issue within the science of meanings when talking about the conditions of the predicate to it and the musnad, and they began with the predicate to it, dealing with its definition first and then denying it, unlike the grammarians who used to deny it because it is their original and then the definition because it is a branch of denial, and it seems that the rhetoricians started talking about the definition because the original In the Musnad to be knowledge, then they dealt with the Musnad speaking about its denial and its definition.

In light of the purposes contained in Surat Al-Makkma, we will stand before some of the definition contained in it, to reveal the secrets of its expression, committed to the opinions of scholars. To achieve this goal, we relied on the analytical-descriptive method. That is why we enumerated this phenomenon and clarified its aesthetics throughout the surah, and we mentioned the wonderful meanings of it in some verses, such as glorification, reprimand, brevity, brevity, bashing the addressee and ...

Keywords: Surat Al-Mulk, Implicit, Science, Sign, Contiguous, Instrument, Addition.

آفاق الحضارة الإسلامية، أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية
مجلة علميّة نصف سنويّة (مقالة علميّة محكّمة)، السنة ٢٤، العدد ٢، الخريف و الشتاء ١٤٤٣ هـ.ق، ١٤٣-١٦٦

جمالية التعريف فى سورة الملك المباركة

رمضان رضائي*
يدالله رفيعي**

الملخص

إحدى القضايا الهامة في البلاغة موضوع التعريف والذي يندرج من ضمن علم المعانى ولاستخدام التعريف أغراض بلاغية كثيرة يمكن استشفافها في القرآن أي استشفاف ولاستخدام الكلمة معرفة أرجحية لما يحتويه من معنى لايمكن التعبير عنه بالتنكير. وإن التعريف يعتبر من الأساليب البلاغية التي تقتضيها أحوال المخاطبين و يقصدها المتكلم وقد تكلم النحاة عنها من الناحية الإعرابية المحضة والبيانيون وأما علماء البلاغة كان حديثهم من زاوية أخرى و مجال آخر حيث تحدثوا عن الأغراض و الدواعي التي يكون من أجلها التعريف. وفي ظل ما تضمنته سورة الملك الكريمة من أغراض سنقف أمام بعض ما ورد فيها من التعريف لنكشف عن اسرار التعبير به مستعينين بآراء العلماء. للوصول على هذا الهدف اعتمدنا على المنهج الوصفي – التحليلي. لهذا قمنا بإحصاء هذه الظاهرة وتبيين جمالياتها في خلال هذه السورة وأوردنا المعاني الرائعة لها في بعض الآيات كالتعظيم والتوبيخ والاختصار

* استاذمشارک، قسم اللغة العربية، آكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، طهران، ايران (الكاتب المسؤول)، drr_rezaei@yahoo.com
** استاذ مساعد، قسم اللغة العربية، آكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية، طهران، ايران، Rafiei_y20@yahoo.com
تاريخ الوصول: ١٤٠٠/٠٢/١٤، تاريخ القبول: ١٤٠٠/٠٦/٠٩

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose

والايجاز وتقريع المخاطب و... ونتائج البحث تشير إلى أنّ الضمير يدّل أحيانا على تمييز للمتكلم والإشارة تدلّ على القرب الحقيقي وقد تأتي لتوبيخ الكفار فالموصول قد يأتي في السورةلإفادة عظمة وتحقق الغرض من الآية.

الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، سورة الملك، البلاغة، التعريف.

١. المقدمة

مع أن التعريف والتنكير هما من أساليب معانى النحو ولكن يوجد اختلاف بين مفهوم الكلمة في التعريف عما هي عليه في التنكير، وهو اختلاف في كثير من الأحوال لاينشأ من بنيتها فقط وإنما ينشأ أيضا من دلالتها واختلاف اسلوب استعمالها. ولعل الفارق الأساس بين التعريف والتنكير هو أن التنكير لايعرف بأداة معينة وإنما يكون لفظ اللفظ مطلقا من قيود التعريف أو من المعارف والتعريف يأتي ليقيّد ذلك الإطلاق ويحد وجوه اللفظ في دلالته واستعماله. وقد تطرّقت إلى هذا المفهوم البلاغى كتب النقد و البلاغة منذ القديم وأدرجو في طيات علم المعانى قضية التعريف للمسنداليه والمسند واستشهدوا بكثير من الآيات واستخدموها للدراسات البلاغية للتعبير عن هذا الأمر وما يدعى أحيانا بالدراسات الدلالية والاسلوبية.

١.١ مسئلة البحث

لكلّ علم مصطلحاته الخاصة التي تعين على ضبطه وتقنينه وتلك المصطلحات ليست وليدة العلم ذاته وإنما هى مظهر من مظاهر التطورالدلالى للكلمة فتأتى الكلمة «المصطلح» لتنهض بدلالة جديدة تحمل في طياتها دلالات سابقه مرّت بها في تاريخها الطويل. فإنّ مصطلح «التعريف» قد انتقل من النحو إلى البلاغة بلفظه ودلالته. فإنه يدلّ على التعيين و بالتالي فأنه يتضمن معنى التمييز والتخصيص والوضوح وقد استفاد علماء البلاغة من هذه المعاني ووظفوها فيما يخدم دراساتهم للقضايا البلاغية المتصلة بها ويلاحظ على مصطلح «التعريف» أنه أكثر شيوعا في كتب البلاغة منه فى كتب النحو لأن التعريف يرتبط بالمخاطب وعلم البلاغة أكثر التصاقا بالمخاطب من النحو.

لقد نالت مسألة التعريف اهتماما كبيرا عند البلاغيين، فلا يكاد يخلو منها كتاب في البلاغة قديما كان أو حديثا، وبدأت هذه المسألة كغيرها من مسائل البلاغة غير مقننة أو منضبطة وما هي إلا شذرات هنا و هناك، ويرجع الحكم فيها إلى الطبع السليم والذوق الرفيع، كما نرى عند الجرجاني في دلائله، والزمخشري في تفسيره. وبعد ذلك أَخذت هذه المسألة بالانضباط والتعقيد، فإذا هي قواعد محددة، ومسائل مرتبة، وبدأ هذا التَّقنين منذ السكَّاكي في كتاب المفتاح حيث خصص القسم الثالث منه لعلوم البلاغة، ثم جاء القزويني فلخَّص الجزء الثالث من ا لمفتاح وهذَّبه في كتاب التلخيص، ثم وضع توضيحا لهذا الملخَّص في كتاب الإيضاح، واستمر الأمر فيمن تلاه ما بين شارح و مختصر وناظم لهذا الفن من خلال المفتاح وتلخيصه وإيضاح التَّلخيص.

وتناول البلاغيون هذه المسألة ضمن علم المعاني عند حديثهم عن أحوال المسند إليه والمسند، وبدؤوا بالمسند إليه، فتناولوا تعريفه أولا ثم تنكيره، على خلاف النَّحويين الذين كانوا يبدؤون بالتنكير لأنَّه الأصل عندهم ثم التعريف لأنَّه فرع التنكير، ويبدو أنّ البلاغيين بدؤوا الحديث عن التعريف لأنّ الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة،ثم تناولوا المسند متحدثين عن تنكيره وتعريفه.

واعتمد البلاغيون في ذلك على بيان الوظائف والدلالات الَّتي تستعمل من أجلها كلّ من المعرفة والنَّكرة، فتناولوا الضمائر والوظائف الَّتي تأتي من أجلها ثم العَلَم مبينين وظائفه ودلالاته وهكذا باقي المعارف... ثم انتقلوا إلى التنكير وبينوا وظائفه ودلالاته... ثم انتقلوا إلى المسند وكان الحديث فيه مقتضبا لأنّ أكثر الدلالات تم تناولها في المسند إليه وهي منطبقة على القسمين.

وتناول البلاغيون هذه المسألة ضمن المسند والمسندإليه إنّه لا يعني أنّ هذه الدلالات منحصرة فيهما ولا تكون في غيرهما، ولم يكن هذا قصدهم، بل هي عامة فيهما وفي باقي أجزاء الجملة، وكانوا يأتون بأمثلة كثيرة من غير هذين البابين مع الإشارة لذلك غالبا، وقال القزوينيّ مصرحا بعدم الانحصار: كثير مما في هذا الباب والَّذي قبله غير مختص بالمسند والمسندإليه، كالذِّكر، والحذف، والفطن إذا أتقن اعتبار ذلك فيهما لا يخفى عليه اعتباره في غيرهما (القزوينى، ١٩٨٩: ١/١٩٤)

لذا وقف الدرس البلاغي أمام الأسباب التي تدعو المتكلم إلى التعبير بالتعريف دون التنكير أو التعبير بمعرفة دون غيرها من المعارف وكذلك الطرق التي يتبعها المخاطب لفهم ما يشير إليه التعريف في ظل مقولة المقام، فعندما يستعمل المتكلم الاسم المعرفة فإنه يهدف بالدرجة الأولى إلى أن يستحضر المخاطب هوية المشار إليه بما يعرف عنها و هذا الاستحضار يمكن المخاطب من استقبال ما سيتبع هذا التعريف من معلومة جديدة لم يكن قد حصلها من قبل، فتتمكن لديه مع المعلومات السابقة. ولكي يستطيع المتكلم اختيار التعريف أو طريقة التعريف المناسبة فلابدّ أن يكون على علم بما لدى المخاطب من معلومات سابقة عن المتحدث عنه لأن علم المتكلم و اختياره السديد بذلك للتعبير المناسب يساعدان المخاطب على تمكين تلك المعلومات لدى المخاطب لما تمرّ به من عمليات عقلية تتمثل في الاستحضار والربط ثم ملكة في الذاكرة. في إطار هذا الجانب أخذ علماء البلاغة يبحثون عن مواطن الجمال ومكامن الاسرارفي التعريف. لذا حاولت هذه الدراسة أن تعالج التعريف و جمالياته في سورة الملک المباركة مشيرا إلى انواع التعريف و بعض أغراضه في هذه السورة مستعينا بالمنهج التحليلي – الوصفي.

٢.١ خلفية البحث

اهتم الباحثون بمسألة التعريف منذ القدم وفي الدراسات الحديثة أصبحت جديرة بالاهتمام منها:

عباس حميد مجيد السامرائى، ٢٠١٦، التعريف والتنكير في آيات دلائل القدرة، مجلة جامعة الانبار للغات والآداب، العدد ٢١، درس الباحث فى هذه المقالة انواع التعريف و التنكير في الآيات المذكورة.

احمد محمد نور احمد، ٢٠٠٥، أسرار التنكير والتعريف فى الحديث النبوي، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان، درس الباحث في هذه الرسالة مفهوم الحديث و بلاغة الرسول(ص)، ثم اقسام المعارف و انواع التنكير مع ذكر شاهد من حديث النبوى الشريف.

حامد صالح خلف الربيعي، ١٩٨٩، التعريف في البلاغة العربية، رسالة ماجستير، جاء في هذه الرسالة مفهوم التعريف وطرقه ثم تعريف المسنداليه و طرقه ثم تعريف المسند وخروج التعريف عن مقتضى الظاهر ومظاهره و اسراره.

عبدالله بن محمد السليمانى، ١٤٣٣، التعريف والتنكير فى بعض مواضع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، مجلة معهد الإمام الشاطبي، العدد ١٣.

غلامرضا كريمي فرد، ١٣٨٦، التعريف في التعبيرات العددية، مجلة كلية الآداب لجامعة طهران، درس الباحث في هذه المقالة تعريف العدد والمعدود فى اشكاله المختلفة.

رياض محمود جابر قاسم، ٢٠١٥، الظواهر البلاغية في سورة الملك دراسة تفسيرية تحليلية، مجلة الجامعة الاسلامية للدراسات الاسلامية، اشار الباحث في هذه المقالة إلى التعريف في خمسة أسطر فقط.

٢. التعريف في السورة دراسة و تحليل

١.٢ تعريف بالضمائر

الإضمار يدل على الإخفاء (الزمخشري،١٣٩٩:ذيل ضمر) وهو عكس الإظهار وصفة التعريف في الضمير مكتسبة من السياق أو المقام الذي فيه، إذ ليس المقصود بالإخفاء ذلك الابهام الذي يوقع السامع في حيرة «لأنك إنما تضمر اسما بعدما تعلم أن من يحدّث قد عرف مكن تعني وما تعني وأنك تريد شيئا يعلمه» (سيبويه، ١٩٧٩: ٢/٦)من ثم نقول إن الضمائر تعد نائبة عن الأسماء الظاهرة لتؤدي مجموعة من الوظائف و الدلالات في الكلام العربي وأهمها: أولا: الايجاز والاختصار: يرى النحويون أن الغرض الأساسي من وضع الضمائر هو الايجاز و الاختصار(الكوفى، ٢٠٠٢ :٣٠٢) و يقول ابن يعيش: إنما أتانى بالمضمرات كلها لضرب من الإيجاز لأنك تستغني بالحرف الواحد عن الاسم بكماله. (ابن يعيش، ٢٠٠١، ٢٩٢) فالضمائر تنوب عن الأسماء الظاهرة لأنها أوجز. ثانيا: التعيين و رفع الالتباس: بما أن الضمائر قسم من المعارف فانه يؤتي بها لتعيين مدلولها و فصله من جنسه دون حدوث لبس. يقول

الرضي: «إعلم أن المقصود من وضع المضمرات رفع الالتباس فإن (أنا) و (أنت) لايصلحان إلا لمعنيين وكذلك ضمير الغائب نص في أن المراد هو المذكور بعينه فى نحو جاء زيد وإيّاه ضربت...» (الرضي، د.ت: ٣/٨) ثم أن تعريف المسنداليه بالضمير إنما يكون بقرينة وهذه القرينة تأتي في ثلاث مقامات لتحقيق ثلاثة أغراض بلاغية عامة وهى كما جاءت فى الإيضاح «إما لأن المقام للتكم نحو: أنا ضربت أو الخطاب نحو: أنت ضربت أو الغيبة نحو: هو ضرب» (الخطيب القزويني، د.ت: ١/١٠)أما الأول فأذا كان المقام مقام التكلم. كقوله تعالى: ﴿إنما أنا نذير مبين﴾ (الملك، ٢٦) والمقام الثاني هو مقام الخطاب كقوله تعالى: ﴿إن انتم إلا في ضلال كبير﴾ (الملك، ٩) أما مقام الثالث فهو مقام الغيبة كقوله تعالى: ﴿هو على كلّ شيء قدير﴾ (الملك، ١) و كقوله تعالى: ﴿هو العزيز الغفور﴾ (الملك، ٢) أما فى مقام التكلم جاء التعريف بالضمير أنا فى قوله﴿ إنما أنا نذير مبين ﴾ وفيه تمييز للمتكلم، لتتحدد بعد ذلك وظيفة الرسول(ص) و هى الإنذار دون العلم والأنذار غير العلم كما أن فى الضمير إشارة إلى خطأ الكفار فى خطابهم السابق حينما خاطبوا الجماعة فالرسالة منوطة بالرسول(ص) و هو المخصوص بالتبليغ عن الله جل شأنه.وفي مقام الخطاب جاء التعريف في قوله تعالى: ﴿إن انتم إلا في ضلال كبير﴾ فضمير الخطاب (أنتم) فيه وجهان، أولهما أنه من جملة قول الكفار و خطابهم للمنذرين والآخر أن يكون من كلام الخزنة للكفار والأول هو الراجح. (ابوحيان الاندلسي، ١٤٠٣: ٨/٣٠٠) لأن الضمير قد وقع فى جملة ما حكاه الكفار عن تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة و السلام فكان مقتضى الظاهر أن يقال: إن أنت، لأن مخاطب كل أمة نذيرها وقد بيّن ابوالسعود السر فى وضع ضمير الجماعة موضع ضمير المفرد قال: جمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة في التكذيب و تماديا فى التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترک ذكر المنزل عليه فإنه ملوح بعمومه حتما. (ابى السعود، ١٤٠١: ٥/٣٦١)

وضمير الغائب فى قوله تعالى: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ بما فيه من سعة المدلول الذي يستدعي الإمعان في التخيل، جاء ليربط ما بعده بما قبله، فما قبله يدل على عظمة الله جلّ و علا وعظمة ملكه واتساعه وما بعده يدل على شمول القدرة الإلهية التي تصرف ذلك

الملك وذلك الشمول يتمثل فى كلمة(شيء) النكرة و اضافة (كل) إليها. وأيضا كقوله تعالى (وهو العزيز الغفور) والضمير (هو) جاء مبتدأ ليربط بين الابتلاء و بين ما يناسبه من صفات الله جلّ وعلا و هى (العزيز الغفور) لأنّ المكلفين يختلفون فى عمل الطاعة و كقوله أيضا ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ (الملک، ١٣) و فائده التعريف بضمير الغائب في هذه الآية، ما يتضمنه من التعظيم لله عزّوجلّ والعلاقة بين ما سبقه وبين ما يأتى بعد لينتظم المعنى دون استئناف لأن ما بعده تقرير و اثبات لما قبله والمراد بقوله (ذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها. (الزمخشرى، ١٣٩٢: ٤/١٣٧) إ« الغائب الذى نتحدث عنه يكون دلالة اللفظ تحقيقيا على ضمير الغيبة كقوله تعالى: ﴿آمنا به و عليه توكلنا﴾ (الملک، ٢٩) فإنه يدل على الاعتداد بهذا الإيمان وبهذا التوكل والتعريض بمن لم يؤمن بالله ولم يتوكل عليه كانه قيل: آمنا و لم نكفر كما كفرتم. (الزمخشري، ١٣٩٢: ٤/١٤٠) لذلك جاء ضمير المخاطبين في قوله (فستعلمون) على سبيل التهديد و الوعيد الذي يستدعي حضور المخاطبين لأن التهديد فى مقام الخطاب أشدّ وقعا في النفس ولهذا لم يقل:فسيعلمون أو فسنعلم لأن التهديد فى ذلك لايكون موجها إلى معين.

إنّ ضمائر المخاطب كثيرة جدا لا تكاد تخلو منها آية من آيات القرآن، وذلك لأنّ آيات القرآن تعالج امورا لابدّ أن يستخدم فيها ضمير المتكلم، فالأمر والنهى، والتوجيه والنصح، والتحذير ومعالجة القضايا المختلفة، وخطاب النبيّ (ص) كي يوجه أيضا أمته كل ذلك لابدّ أن يستخدم فيها ضمائر المخاطب. وضمائر الغيبة استخدمت كثيرا، ولكنها لم تصل إلى حد ضمائر الخطاب ذلك لأن معالجة القضايا الاجتماعية في آيات القرآن تحتاج إلى ضرب الأمثلة و حكاية بعض أحوال من سبق، وذلك يتطلب ضمير الغيبة وهو امر طبيعي.

سياق آيات القرآن لما كان لم يكن بحاجة ماسة إلى تكرار ضمير المتكلم جاء هذا الضمير قليلا، إشارة إلى ما منحه الله تعالى للناس من نعم كثيرة وإشارة إلى التعريف بذات الله تعالى ونعمه وعظمته وسننه وأحكامه؛ أما ضمائر الخطاب اختلطت مع ضمائر التكلم، ومع ضمائر الغيبة وضمائر الخطاب مع الغيبة اختلاطا معجزا اقتضاه المقام وكان لكل من ذلک أثر في إيضاح المعنى وإكتسابه رونقا وجمالا، لايخفي على أصحاب العقول.

٢.٢ التعريف بالعلم

يختلف العلم عن سائر المعارف بأنه يعين مسماه بلا قرينة فهو يكتسب التعريف بالوضع حيث يوضع ليدلّ على معين في جنسه لا يشمل غيره فإن حدث اشتراك فهو طارئ لا وضعيّ ويأتي ليحدد مسماه بمجرد اللفظ مستغنيا عن الصفات العديدة ويأتي أيضا لتحديد المسمى وتمييزه من جنسه وهذه الوظيفة الأساسية للعلم وهي تحديد مسماه وضعا وفصله من سائر جنسه ويكون ذلك في الأعلام الشخصية التي وضعت لمحدّد لايشاركه غيره وضعا.

لم يتطرق البلاغيون لدواعى العلم البلاغة فى سياق الجملة و إنما انصب جلّ اهتمامهم على الدواعي الذاتية المستخلصة من ذات العلم و لعل ذلك يرجع أساسا إلى أن العلم معين دون حاجة إلى دلالة قرينة خارجة عنه و هذا ما يميزه عن غيره من المعارف الأخرى التي هى: غير معينة في اصل الوضع بل تعينها بالاستعمال. (الدسوقي، د.ت: ١/٢٩٣) و العلم من أصناف الاسم على حد قول النحاة من ذلك ما ذهب إليه الزمخشري بقوله:اعلم أن العلم هو الاسم الخاص الذي لا أخصّ منه. (ابن يعيش، ٢٠٠١: ١/٩٣١) و لذكر الاسم أثر كبير في استدعاء كل ما يحمله المخاطب تجاهه من تقدير أو كره أو إزدراء أو سخرية أو فخر أو مدح أو نحوها. من ثم نقول إن العلم كغيره من المعارف الأخرى من ناحية الاستعمال الادبي حيث ينظر إليه في اطار من مقولة الاختيار و اختيار العلم دون غيره للدلالة على شخص معين لابد وأن يكون له أغراض لايؤديها سواه من المعارف لأن الأعلام تحمل في طياتها تداعيات كثيرة جدا فمنها التاريخية ومنها العاطفية ومنها الاسلوبية وهذه من أهم مكونات العمل الأدبي و على الرغم من هذا نجد من الباحثين من يهمل تناول التعريف بالعلم ظنا منهم بأنه من ضمن الدراسات النحوية ولا يتصل بالناحية البلاغية. (محمد ابوموسى، ١٤٠٠: ١٤٦) ومنهم من لم يهتم به لأنه يرى أن فوائده هامشية و مصطنعة. (عبدالعزيز قلقيلة، ١٤٠٧: ٢٢٠) و لم يهمل من قبل الكثير من علماء البلاغة حيث تناولوه من خلال المقامات والأحوال التي تستدعي تعريف المسنداليه بالعلمية وما يتبع ذلك من أغراض بلاغية. يقول السكاكى: أما الحالة التى تقتضي كونه علما فهي: إذا كان المقام مقام إحضار له بعينه في ذهن السامع ابتداء بطريق يخصه. (السكاكى،١٩٨٧: ١٨٠) و

هذا يرجع إلى المتكلم و دقته في اختيار العلم ليكون معبرا في المقام الذى يقتضي التعيين بأخص الأسماء.

فالتعريف بالعلم اذا يكثر في المقامات التي تتطلب مزيدا من التعيين والتخصيص وتتعدد السياقات التي يتجه فيها المتكلم إلى التعريف المسنداليه بالعلم بتعدد الأغراض التي تدعو إلى ذلك كما فى قوله تعالى: ﴿قل هو الله احد﴾ (الاخلاص، ١)حيث جاء لفظ الجلالة وهو علم على الأرجح لأن المقام هنا مقام التوحيد والعلمية أنسب من سائر المعارف. (ابن يعقوب المغربي، د.ت: ١/٢٩٦) وكقوله تعالى: ﴿ما يمسكهن إلا الرحمن﴾ (الملک، ١٩) و جاء التعريف باسم الرحمن دون غيره من الأسماء الحسنى لسر بلاغى، أبرزه الفخر الرازى فى تفسيره للآية. قال: «إنه تعالى قال فى النحل: ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهنّ إلا الله﴾ (نحل،٧٩) وقال ههنا (ما يمسكهن إلا الرحمن) فما الفرق؟ قلنا ذكر فى النحل أن الطير مسخرات في جو السماء فلا جرم إن كان امساكها هناك محض الإلهية وذكر ههنا أنها صافات وقابضات فكان إلهاما إلى كيفية البسط و القبض على الوجه المطابق للمنفعة من رحمة الرحمن» (الفخر الرازي، ١٤٠٥: ٣٠/٧١) فذكر الإلهية يناسب السياق هناك وذكر الرحمة يناسب السياق هنا لأن الطير فى آية النحل ليست فاعلا وإنما هو التسخير الإلهى أما فى سورة الملك فان الطير بما لها من خصائص خلقية تساعدها على الطيران تداوم على البسط والقبض ولاتسقط بقدرة الله و رحمته التي وسعت كل شيء فعوامل البقاء من رحمة الله بخلقه.

٣.٢ التعريف باسم الإشارة

لأسماء الإشارة وظائف و دلالات ومن وظائفها ودلالاتها: أولا يؤتى بأسماء الإشارة لتكون وصلة لخروج ما فيه أداة التَّعريف من العهد العلمي إلى الحضوري؛ لأن الأداة تدخل للعهد كأن تقول: بعت الفرس، تقصد الفرس الذي يعهده المخاطب، وقد يكون الشَّيء بحضرة اثنين ولا عهد بينهما فيه، فإذا أراد أحدهما الإخبار عنه يقول: هذا الشَّيء، فيتوصل إلى تعريف الحاضر باسم الإشارة.

ثانيا تحديد الشَّيء وتعيينه بالعين والقلب: تستخدم أسماء الإشارة لمحسوس مشاهد في الأصل لتعيينه وتحديده في جنسه من جهة العين ومن جهة القلب، وتكون على مرتبتين على الأرجح عند ابن مالك، وهي: قريب، نحو: ذا وذاء وذي وذه وذان وتان وأولاء، وما جاوز القريب، نحو: ذاك وذلك وتيك وتلك وذانك وتانك وأولائك وأولالك...، والجمهور على أنها ثلاث مراتب: قريب ومتوسط وبعيد، فما خلا من اللام والكاف فهو للقريب، وما كانا فيه فهو للبعيد، وما كان فيه الكاف وحدها فهو للمتوسط.

تتضح أهمية البلاغية لأسماء الإشارة إذا تمثلنا وظيفتها في تمييز الذات المحسوسة، أو المعانى التي سبق للمخاطب علم بها فى سياق الكلام مع مراعاة معانى القرب والبعد التي تلازم تلك الأسماء. وانطلاقا من معانى الحس والقرب والبعد التي تؤديها أسماء الإشارة اكتسبت أهميتها في الدرس البلاغي، لأن هذه المعاني تلتمس فى كل سياق يرد فيه اسم الإشارة بما يتناسب وذلك السياق. لذا فإن النكات البلاغية للإشارة تتعدد بتعدد استعمالاتها ولأن أسماء الإشارة تقترن بالإشارة الحسية بالأعضاء وهو عنصر هام من عناصر إدراک الجمال. «حيث يرتبط الحس الجمالي عند العرب بالحواس التي يتميز بها الحسن من القبح.» (عبدالرحمن، ١٤٠٤: ٢٠١) فإن الإشارة الحسية تهدي المخاطب إلى دقائق و جزئيات لايدركها بمعزل عن تلك الإشارة. وفي هذا يقول الجاحظ: «ومبلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت فهذا ايضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت.والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولاكلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت، ولاتكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدلّ والشكل والتقتّل والتثنّي...» (الجاحظ، د.ت: ١/٧٩)

فالإشارة الحسية أكثر تعبيرا من الإشارة اللفظية، فإذا اجتمعت الإشارة اللفظية والإشارة الحسية كان ذلك أكثر تأثيرا في المخاطب وأكثر دقة في إدراكه للمشار إليه لما يصحب الإشارتين من تمييز و تخصيص للمراد.

وقد بيّن الجاحظ أهمية الإشارة الحسية اذا صحبت الخطاب بقوله «والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هى له و نعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني

عن الخط وبعد فهل تعدو الإشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحلية موصوفة على اختلافها في طبقاتها ودلالاتها. وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير و معونة حاضرة في أمور يسترها بعض الناس من بعض ويخفونها من الجليس و غير الجليس ولولا الإشارة لم يفهم الناس معنى خاص الخاص ولجهلوا هذا الباب البتة.»(المصدر نفسه، ٧٨) وهذه الأبعاد البلاغية للإشارة ترجع إلى ما فيها من الحسية وما يصحبها من دقة في الدلالة على المشارإليه والاستغناء بها عن كثير من الكلام الذي ربما كان المقام يأباه.

والحقيقة أن الإشارة اللفظية منطوقة أو مكتوبة هي تتضمن معنى الحسية فالمخاطب يتصور تلك الإشارة بمجرد ورود اللفظ الدالّ عليها ومن ثم يلتمس الأغراض البلاغية التي تعبّر عنها من خلال السياق الذي ترد فيه. ولم يغفل السكاكي عن هذه الأبعاد عندما حدد الحالة التي تقتضي مجيء المسنداليه اسم إشارة و ذلك حين قال: «متى صح إحضايره ـ أي المسنداليه . في ذهن السامع بوساطة الإشارة إليه حسا واتصل بذلك داع» (السكاكي، ١٩٨٧: ١٨٣) هذه هى الأسس التي تتبني عليها دراسة أسماء الإشارة من الناحية البلاغية وهى أسس جمالية فنية لارتباطها بالحس وبالمقام وما يستدعيه من المعاني التي تصحب الإشارة أو يمكن أن تستشف منها كعنصر لغوي له خصائصه و ميزاته. وقد ذكر علماء البلاغة كثيرا من الأغراض والدواعى التي تدعو إلى تعريف المسندإليه باسم الإشارة والمقامات التي تستدعي ذلك كأن لا يكون لك أو ليس معك طريق إلى المسندإليه سوى الإشارة وهذا من الدواعي التي ذكرها السكاكي.(المصدر نفسه، ١٨٣) قوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ (الملك، ٢٥) جاء التعريف باسم الإشارة (هذا) لأنه يدل على القرب والمراد بالقرب هنا قرب المكانة لا قرب المكان وهذا ينبئ عن أن الوعد لم يؤثر فيهم ولم يقع من نفوسهم موقع التصديق فهم لايرون فيه غير مجرد وعد لا أكثر. ومنه قوله تعالى: ﴿وقيل هذا الذي كنتم به تدعون﴾ (الملك، ٢٧) و لتوبيخ الكفار على تكذيبهم وانكارهم قال سبحانه (وقيل هذا الذي كنتم به تدعون) فجاء اسم الإشارة أتم ما يكون في ذلك و تزداد وظيفة اسم الإشارة ظهورا اذا ربطناه بمقولتهم السابقة: (متى هذا الوعد) عندما كانوا يستهزئون فأشاروا إليه اشارة معنوية تدل على عدم تصديقهم أما فى

هذا المقام فالإشارة تدل على القرب الحقيقي و المعاينة لأنّ الوعد أصبح حقيقة ملموسة يشارإليه إشارة حسية لا معنوية والإشارة إليه باسم الإشارة الموضوع للقريب فيها تعظيم وتهويل للمشارإليه وقرب يفقدون معه كل أمل في النجاة.

٤.٢ التعريف بالموصول

تعد الأسماء الموصولة من المبهمات وذكرها بعض النحويين مع أسماء الإشارة تحت مصطلح المبهم. يقول ابن يعيش: «واعلم أن الموصولات ضرب من المبهمات وإنما كانت مبهمة لوقوعها على كل شيء من حيوان وجماد وغيرها كوقوع هذا وهؤلاء ونحوهما من أسماء الإشارة على كل شيء» (ابن يعيش، ٢٠٠١: ٣٧٢) فهى عامة فى أصل وضعها لاتفصل شيئا من شيء لذا سميت مبهمة وتسمى أيضا ـ الأسماء النواقص ـ (السهيلي، ١٩٩٢: ٢/١٨٧) لأنها ناقصة في ذاتها لايتم معناها إلا بصلة. وبما أنها مبهمة فهي تكتسب التعريف من خلال السياق الذي ترد فيه واختلف النحويون في جهة تعريفها على قولين: اولا أنها معرفةّ بالأداة في أولها و زعم الزجاجي الاجماع عليه و نسبه لسيبويه و الفرّاء وتكون الأداة عندهم مقدرة في (ما ومن وذو...) ثانيا: أنها معرفة بالصلة حيث وُضعت لتكون معارف بصلتها وهذا رأى الجمهور خلافا لزعم الزجاجين.

تأتي الموصولات لتؤدي مجموعةمن الوظائف والدلالات فى الجملة كما ذكرها النحويون وهي: اولا: أن تكون وصلة لوصف المعارف بالجمل.(ابن السراج، د.ت: ٢٦١) يرى النحاة أن الغرض الاساسي من وضع الموصولات هو التمكن من وصف المعارف بالجمل وذلك أن النكرات توصف بالجمل فأرادوا أن تكون المعارف مثلها ولم يتمكنوا من ذلك لأن الجمل نكرة و المعارف لاتوصف بالنكرات فإذا قلت جاء زيد ابوه قائم على الوصف لها ارتبط الكلام لأن كلا منهما مستقل قائم بنفسه فجاؤوا باسم مبهم معرفة لايتم معناه إلا بصلة فوصلوه بالجمل ليتم وصف المعرفة بها فقالوا: جاء زيد الذي قام ابوه و ذهبت هند التي جاءت امّها... ثانيا للدلالة على معهود معين وهو الغالب فيها ويشترط حينها أن تكون صلتها معروفة لأن وضع الموصول على أن يطلق على ما يعتقد المتكلم أن المخاطب يعرفه

محكوما عليه بحكم معلوم. (ابوحيان، ١٩٩٨: ٥٢٤) نحو قوله تعالى: ﴿و إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾ (أحزاب، ٣٧) فخطاب هذا للنبي (ص) و المقصود من الموصول شخص معروف وهو زيد بن حارثة. ثالثا: أن يراد به الجنس فتوافقه صلته وذلك نحو قوله تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاء﴾ (بقره، ١٧١) فلايُقصَد بـ. الذي. معين و هذه الوظيفة مخالفة لدلالة المعارف لأن المعارف تدل على معين والموصول فى هذه الحالة لايدلّ على معين والذى أراه أنّ الموصول هنا نكرة وقد جاء على أصله في الإبهام وعدم التعيين وهذا يدلّ على أن الموصول يتعرّف من خلال صلته ومن خلال سياق المقام الذي يرد فيه و يمكن أن يصنّف ضمن المعارف اللفظية والنكرات معنى ويدرج في باب واحد بين المعارف والنكرات. رابعا: التفخيم والتهويل، قد يؤتى بالموصول ليدلّ على التفخيم وهو التعظيم أو التهويل وهو التخويف فتبهم حينها صلته ليتحقق المراد ومن التفخيم قوله تعالى: ﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾ (نجم، ١٠) وقوله تعالى: ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ (نجم، ١٦) فإن الموصولات في هذه الآيات لايراد بها معين لذا أبهمت صلاتها لتبقى عامة ليتصور المرء ما يتصوره في خياله من عظمة أو تهويل وهذا مخالف لدلالة التعريف لأن المعارف تدل على معين والذي أراه أن الموصول في هذه الحالة نكرة ويمكن أن يضاف ضمن المعارف اللفظية النكرات معنى. أما في قوله تعالى: ﴿تبارك الذى بيده الملك ﴾ (الملك، ١) فالغرض من التعريف بالاسم الموصول(الذي) إفادة عظمة ذلك الملك الذي لايملكه إلا عظيم و تعريف (الملك) يفيد الجنس وهو يدلّ على الهيمنة التامة، لأن كلمة (الملك) تدل على أنه ملك واحد وكل ما عداه ليس بملك على الحقيقة وهذا فيه تعظيم لله سبحانه وتعالى فالتعريف بالاسم الموصول يفيد عظمة الملك وتعريف الملك يفيد عظمة المالك سبحانه ويدل على قدرته وهيمنته.

وهذه الآية ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ (الملك، ٢) تتضمن اثبات القدرة الالهية بالدليل القاطع وهو خلق الموت والحياة وقد تصدر الاسم الموصول (الذي) لما للصلة من مضمون يتحقق به الغرض من الآية وتزداد هذه الفائدة البلاغية وضوحا إذا لاحظنا ما فى الاسم الموصول من الحثّ إلى ما يأتي بعده فالموصول مبهم إذا سمعه المخاطب بقى منتظرا لعقب الكلام وفى هذا التشويق والانتظار تمكين لمضمون الصلة في نفس المخاطب.

وفي قوله تعالى: ﴿الذي خلق سبع سماوات طباقا﴾ (الملك، ٣) الاسم الموصول (الذي) جاء ليؤدى دوره فى اثبات قدرة الله تعالى من خلال ما تتضمنه صلته من المخلوقات المحسوسة التى تعتبر شاهدا واضحا على تلك القدرة وبرهانا أكبر من أن ينكره الجاحدون فالاسم الموصول (الذي) يتكرر وفي كل مرة يتضمن مقصدا بلاغيا وتعجيزا للكافرين. وقد تصدر الاسم الموصول هذه الآية ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم و بئس المصير﴾ (الملك، ٦) لما فيه من العموم لمن اتصف بالكفر فيكون المعنى ولكل من كفر بالله من الشياطين و غيرهم عذاب جهنم. (الفخر الرازى، ١٤٠٥: ٣٠/٦٣)

إن معاني الموصول وصلته تتزايد وتغنى في التراكيب القرآنية أمام من أجال طرف الفكر وأدام النظر في دلالاتها ووجوه معانيها وأغراضها، معتمدا على بصيرة وذوق وحس من درجة رفيعة، كما يتطلب استحضار مناسبات النزول ومعرفة الآشخاص الذين يحيل إليهم النص القرآني، والعقيدة التي تتحكم في تفكير وسلوك الأشخاص الذين يخاطبون بتلك الأساليب.

وإن التعريف بالموصولية هو اختيار أسلوبي يهدف إلى التعبير عن أفعال إنجازية، أو معان تداولية يقصد إليها المتكلم، ويطالب المخاطب أن يتأثر بها اقتناعا وسلوكا الشيء الذي توصل إليه بعض المفسرين، لأنهم يستقصون المعاني العملية التي تعبر عن التكاليف الموجهة إلى العباد.

وتظهر هذه الأفعال الكلامية في صيغ العناوين التي سَمَّينا بها الأغراض والمعاني البلاغية للتعريف بالموصولية، وهي: زيادة التقرير مع الرغبة في التستر على الاسم، التعظيم، التعليل، التنبيه على خطأ المخاطبين قصد تنديمهم، الإيماء إلى الوجه الذي بني عليه الحكم، التقرير والذم، التهكم، إثارة التعجب وتشنيع الحال، تنزيل المجهول منزلة المعلوم للتنويه به.

إنها أبنية قائمة على الإفعال والتفعيل بما يعني أنها يقصد بها إثارة المخاطب والتأثير في مشاعره وحواسه، وإقناعه وإقامة الحجة عليه لينقاد عقليا وسلوكيا. وبعبارة أخرى سيقت هذه الأغراض لتنتظم في أسلوب الدعوة إلى سبيل الله بالترغيب والترهيب.

٥.٢ التعريف بالأداة

يرى البلاغيون أن المسندإليه يأتي معرفة بالأداة لدلالتين رئيسيتين يتفرع عن كل منهما عدة دلالات: الأولى: العهد الخارجى (السكاكي،١٩٨٧: ١٨٦) ويُقصد به تعيين الشيء خارج الذهن في واقع الوجود ويسميها السكاكي . حصة المعهود من الحقيقة . أي لتعيين قدر من حقيقة الشيء قد يكون واحدا أو اثنين أو ثلاثة فأكثر، وهذا النوع ثلاثة أقسام: أ- العهد الصريح، ويقصد بذلك أن يتقدم مصحوبها مذكورا صراحة نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا* فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ (مزمل، ١٦-١٥)ويسمّى عند أكثر النحويين العهد الذكرى.ب- العهد الكنائي (السبكي، ٢٠٠٣: ٢٥٨) وذلك أن يتقدم مصحوبها كناية لا صريحا ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ (آل عمران، ٣٦) فالأداة في (الذكر) للعهد الكنائي إذ تقدم الذَّكَر بشكل غير صريح فى قوله تعالى: (إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا) وكانوا يخصون ذلك بالذكور دون الإناث. ج- العهد العلمى (الإيجى، ١٩٩١: ١٢١) و هو ألا يجرى ذكر لمصحوبها، ولكنه يكون معلوما لدى المخاطب بسبق علل كما في قوله تعالى: ﴿إذ هما في الغار﴾ (توبه، ٤٠) أو يكون حاضرا مبصرا نحو: أغلق الباب يا فتى، لمن كان داخلا والنحويون كما مرّ بنا يجعلون كلا من هذين قسما خاصا بذاته، فما كان معلوما لدى المخاطب غير المذكور أو حاضر يسمونه العهد الذهني وبعضهم يسميه العلمي وما كان حاضرا يسمونه العهد الحضورى.

الثاني: الحقيقة (البابرتي، ١٩٨٣: ٢١٠) وهي ثلاثة أقسام: أ- أن يراد بها الحقيقة من حيث هي هي، لا ما تصدق عليه أفراد و تسمى لام الجنس نحو: الماء ضروريّ للحياة ومنها المعرفات نحو: الانسان حيوان وهذا القسم يسميه أكثر النحويين لام الماهية و بعضهم الحقيقة وبعضهم الطبيعة. ب- العهد الذهني وذلك بأن يشار بها إلى الحقيقة ضمن فرد مبهم نحو ادخل السوق حيث لا سوق محدّدة ولايراد الحقيقة لأنها لا تدخل ولا الجنس كله لاستحالة ذلك و نحو قوله تعالى: ﴿أخاف أن يأكله الذئب﴾ (يوسف، ١٣)

ج- الاستغراق، و هي التي يشار بها إلى الحقيقة ضمن جميع أفرادها، وهي قسمان: الاول: الاستغراق الحقيقي وتأتي لتناول جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ حقيقة حسب اللغة نحو قوله تعالى: ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ (الأنعام، ٧٣) أي كل غيب و كل شهادة. الثاني: الاستغراق العرفي: وهي التي يشار بها إلى حقيقة ضمن جميع الأفراد التي يتناولها اللفظ عرفا نحو: جمع الأمير الصاغة بلده أو مملكته لا صاغة الدنيا لاستحالة ذلک.

وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ (الملك، ١) تعريف (الملك) بالأداة يفيد الجنس وهو يدل على الهيمنة التامة لأنّ كلمة (الملك) تدل على أنه ملك واحد و كل ما عداه ليس بملك على الحقيقة وهذا فيه تعظيم لله سبحانه وتعالى وقوله تعالى: ﴿وهو العزيز الغفور﴾ (الملك، ٢) وتعريف (العزيز) و (الغفور) بأل الجنسية يفيد قصر الخبر على المبتدأ قصرا حقيقا لا إدعاء ولامبالغة لأن هذين الجنسين لايكتملان إلا لله جلّ وعلا أى لاعزّ مع عزّه ولا غفران مع غفرانه. وقوله تعالى: ﴿وهو اللطيف الخبير﴾ (الملك، ١٤) تعريف الخبر (اللطيف الخبير) يدلّ على أنه مقصور على المبتدأ فيكون المعنى أن من يوصف بأنه اللطيف الخبير على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى دون سواه. وقوله تعالى: ﴿هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها﴾ (الملك، ١٥) وتعريف الأرض بأل للاستغراق أي كل الأرض و قال سبحانه (فى مناكبها) ولم يقل فيها لأن منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن أن يطأه الراكب بقدمه فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يأتي المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل. (ابى السعود، ١٤٠١: ٥/٣٦٣) وقوله تعالى: ﴿هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة﴾ (الملك، ٢٣) التعريف في قوله (السمع والابصار والأفئدة) للعهد أي ما عهدتموه من هذه الأمور الثلاثة هى من فضل الله عليكم واعلم أن في ذكرها هاهنا تنبيها على دقيقة لطيفة كأنه تعالى قال: أعطيتكم هذه الأعطيات الثلاثة مع ما فيها من القوى الشريفة لكنكم ضيعتموها فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما أبصرتموه ولاتأملتم في عاقبة ما عقلتموه فكأنكم ضيعتم هذه النعم وأفسدتم هذه المواهب. (الفخر الرازي ١٤٠٥: ٣٠/٧٣) و قوله تعالى ﴿إنما العلم عند الله﴾ (الملك، ٢٦) جاء التعريف بأل الجنسية لما فيها من دلالة على الشمول لعلم كل شيء ذلك العلم الذي يند عنه شيء مهما دق أو كبر بل إنه مقصور على الله وحده لايشاركه فيه أحد.

٦.٢ التعريف بالإضافة

تعرف الإضافة بأنها نسبة أو علاقة بين اسمين توجب انجرار ثانيها دائما نحو: هذا كتاب التلميذ ويسمى الأول مضافا والثانى مضاف اليه. فالحرف الممكن تقديره في مثالنا هو اللام: هذا كتاب للتلميذ. (الانطاكي، ٢٠١٨: ٢١٣) ومما سبق يتضح لنا أن الإضافة علاقة بين اسمين تشترط وجود حرف جر بينهما ولابد أن يكون المضاف اسم نكرة وتصله باسم معرفة فيكتسب التعريف نحو: اشتريت كتابا فكتاب هنا نكرة ولكن غدا قلت اشتريت كتابك فقد صار معينا أي صار معرفة بسبب الإضافة إلى الضمير كما قد تكون الإضافة باسم علم أو اسم إشارة أو اسم الموصول أو المعرف بالألف واللام.

حدد البلاغيون مجموعة من الوظائف والدلالات التى تكمن وراء التعريف بالإضافة وهى:

أ- إرادة الإيجاز والإختصار: الإضافة هي إسناد كلمة إلى غيرها لزيادة في المعنى تفيد التعريف والتخصيص والكلمة التي تفيد هذا الحكم تسمى مضاف اليه. أما الكلمة الاساسية التي تقيدت بنسبة كلمة أخرى إليها فتسمى (مضاف) «وأن مرتبة المضاف هي مرتبة ما اضيف اليه» (ابن يعقوب المغربي، د.ت: ١/٣٤٤) ويراد بالإضافة غالبا الاختصار إذا لم يكن للمتكلم طريق سواه اصلا. «لأنه ليس للمتكلم إلى احضاره في ذهن السامع طريق أخصر منها» (التفتازاني، ١٤١١: ٥٦) كقوله: جاء غلامي فإنه أخصر من قولك جاء الغلام الذي لي.

ب- إفادة التعظيم والتشريف: وقد تأتي الإضافة مرادا بها أفادت التعظيم والتفخيم وهذا إنما يكون للمضاف إليه كما تقول: عبد الخليفة حضر.

ج- إفادة التحقيير والتوبيخ: وقد يقصد بالإضافة تحقير شأن المضاف أو المضاف إليه على ما جاء في المختصر: «لتضمنها إي الإضافة تحقيرا للمضاف، نحو ولد الحجام حاضر» (نفس المصدر، ٥٧)

د- إرادة الاستعطاف والحث على الشفقة: وقد توحى الكلمة المضافة إلى ما يثير فى النفس كوامن العطف والوجدان فيوقظ الفطرة ويحث على الرحمة والشفقة ولقد كان الزمخشري هو أول من انتبه إلى هذا المعنى الدقيق. فتراه مثلا في قوله تعالى: (لا تضار والدة بولدها ولا

مولود له بولده) (البقره، ١٣٣) يقول:«فإن قلت: كيف قيل بولدها قلت لما نهيت المرأة عن المضارة إضيف إليها الولد استعطافا لها عليه وإنه ليس بأجنبي منها فمن حقها أن تشفق عليه وكذلک الوالد. (الزمخشري، ١٣٩٢: ١/٣٧١) و في قوله تعالى: ﴿واعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (الملك، ٥) لقد قد جاء العذاب معرفا بإضافته إلى السعير والسعير أشد الحريق يقال سعرت النار فهى مسعورة وسعير (قرطبى، ١٩٦٦: ٢١١/١٨) فعذاب في الآخرة أشد عذاب وأقواه ومن هنا ندرك السر في التعريف بالإضافة فهي تعبر عن شدة ما أعد لهم في ايجاز وذلك لما للكلمة السعير من دلالة فهي تدل على النار في أقوى وأشد صورة لها والغرض من الإضافة هنا لايؤديه قولنا: النار أو عذاب النار أو عذاب جهنم لأن هذه الأسماء لاتؤدي معنى الشدة والقوة الذي تضمنه قوله سبحانه: عذاب السعير.

وكقوله تعالى: ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير﴾ (الملك، ٦) وفي إضافة كلمة (ربّ) إلى الضمير في قوله: (ربّهم) توبيخ وتقريع لاولئک الكفار لأنهم كفروا بربهم الذي خلقهم ورباهم وفي الاسم الموصول وصلته ايماء إلى ما سيأتي من الجزاء وأنه أشد عذاب وأقساه وهو عذاب جهنم ومجيء التعريف بإضافة العذاب إلى جهنم ليعم عذاب السعير وغيره فالذم موجه إلى عذاب جهنم على اطلاقه ولايختص به منزلة دون منزلة بل كلها داخل في قوله (بئس المصير) وفي ذلک ما لايخفى من التهديد والوعيد لمن كفروا بربهم والتنضير من إى طريق يؤدى إلى جهنم.

وقوله تعالى: ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ (الملك، ١٣) المراد بقوله (ذات الصدور) أي بضمائرها قبل أن تترجم الألسنة عنها (الزمخشري، ١٣٩٢: ٤/١٣٧) فالتعريف بالإضافة جاء للدلالة على شمول علمه سبحانه و هذا التعريف هو الذي يتناسب مع ما ورد في صدر الآية من ذكر لشمول ذلك العلم واستقصائه لما كبر وما دق وما أعلن وما أخفى ولو قيل الأسرار أو الخفايا أو القلوب لم يكن له من الدلالة ما في الإضافة كما أن في «تحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائربصاحبتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كأنه قيل إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لاتكاد تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به (ابى السعود، ١٤٠١: ٥/٣٦٣) و قوله تعالى: ﴿وكلوا من رزقه﴾ (الملك، ١٥) وإضافة الرزق إلى الضمير فيها دلالة على أنه

سبحانه هو الذي يملك الرزق وأن ما بين أيديهم من عنده وفي التعبير بالإضافة اختصار وإيجاز لأن قوله (رزقه) يشمل كل شيءمما هو بحوزتهم وهو أخصر من قولنا: مما خلقه الله رزقا لكم أو مما رزقكم الله فالمراد عموم الرزق و لارزاق إلا الله سبحانه.

قوله تعالى: ﴿إن اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين﴾ (الملك، ٣٠) وجاء التعريف بالإضافة في قوله (ماؤكم) لإدخال الخوف إلى نفوس المخاطبين لأن الماء أهم مقومات الحياة وإضافة الماء إليهم تدل على الملكية أي الماء الذي تدعون ملكيته وأن غير الله يرزقكم به فإذا تدبروا ذلك علموا أنهم لايقدرون ولا أوثانهم على إعادة ما يملكونه وأنه لا يقدر عليه إلا الله الذي يملكهم ويملك ما يملكون. فإضافة الماء إليهم في سياق التعجيز تشعرهم بالخيبة وضياع الإمل فلايملكون أما قوله: فمن يأتيكم بماء معين إلا الاعتراف بالحقيقة وهي أن الله وحده هو القادر على ذلك.

وكان تركيب الإضافى أحد أسرار اللغة العربية وسرّا من أسرار القرآن الكريم الذي جاء بصيغ متباينة في كل مقام؛ ليصور المشاهد تصويرا حيّا ويبرز خفاياها وأجزاءها في كل إطار متكامل متجانس فاستطاعت الإضافة أن تصور ساحات مختلقة بمراحلها المختلفة وأحوالها المتباينة فصورت حرقة العذاب في (عذاب السعير) والعلم بضمائر الإنسان في (عليم بذات الصدور) ومشهد القيامة في(يوم القيامة). وقد تنوعت أغراض الإضافة بتنوع المشاهد والسياقات الواردة فيها واستطاعت الإضافة أن تدور مع الأغراض التى مرّت، إلا أنّ هذه الأغراض كانت تعمق المعاني وتغوص بالمتلقي؛ ليستنبط ويتأمل ويدع لخياله العنان لتصور المشاهد والوعد والوعيد وغيرها بحيويتها ونبضها.

٣. نتائج البحث

وتصبح قضية التعريف أو التنكير حالة من حالات اللغة في عملية التشكيل والصياغة وعلاقتها بالدلالة؛ فهي بحق أثر فني ممتع ورسالة تؤدي وظائف محددة وقد أدرك جمالية ذلك كله البلاغيون. تناول البلاغيون مسألة التعريف والتنكير حيث تناولوا وظائف ودلالات لغوية لاعلاقة لها بالبلاغة، مما جعل البحث البلاغي عندهم مصبوغا بصبغة نحوية إلى حد كبير.

لكل قسم من أقسام المعارف وظائف خاصة يقوم بها في الجملة العربية، وأغلبها لاعلاقة له بالجانب الدلالي للتعريف.

التفت كثير من المفسرين إلى الدلالات البلاغية "اللطيفة" للتعريف من خلال تعرضهم لتفسير آيات من القرآن الكريم تحتوي معارف استعملت استعمالاً بليغا لدلالات مختلفة منها: فالضمير يدّل إحيانا على تمييز للمتكلم وأحيانا يدل على العظمة ويتضمن من التعظيم لله عزّوجلّ. فالعلمية كان في السورة أنسب من سائر المعارف. فالإشارة تناسب السياق وقد تدل على القرب وإحيانا تدلّ على القرب الحقيقي وإحيانا أخرى على قرب المكانة وقد تأتي لتوبيخ الكفار على تكذيبهم وانكارهم. فالموصول قد يأتي في السورة لإفادة العظمة وتحقق الغرض من الآية به وتعجيزا للكافرين. فالأداة قد تأتي للهيمنة التامة وقصر الخبر على المبتدأ قصرا حقيقيا لاإدعاء ولامبالغة. فالإضافة تأتي للتوبيخ والتقريع لاولئک الكفار وإحيانا جاءت للدلالة على شمول علمه.

المراجع والمصادر

القرآن الكريم.

ابن السراج، ابوبكر محمد، (د.ت) الأصول في النحو، تحقيق عبد الحسين الفتلي، بيروت، موسسة الرسالة.

ابن يعقوب المغربي، (د.ت) مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، مصر، طبعة عيسى البابى الحلبي.

ابن يعيش، ابوالبقاء، (٢٠٠١م) شرح المفصل، تحقيق اميل بديع يعقوب، بيروت دار الكتب العلمية.

ابوحيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (١٤٠٣ه) تفسير البحر المحيط، دار الفكر.

ابوحيان الأندلسي، محمد بن يوسف، (١٩٩٨م) التذبيل والتكميل في شرح التسهيل، تحقيق حسن الهنداوي، دار القلم.

أبى السعود، محمد، (١٤٠١ه) تفسير أبى السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة.

الانطاكي، محمد، (٢٠١٨م) المحيط في أصوات العربية و نحوها و صرفها، دار الشرق العربي.

الإيجي، عضد الدين، (١٩٩١م)، الفوائد الغياثية في علوم البلاغة، تحقيق عاشق حسين، قاهره، دار الكتاب المصري.

البابرتي، أكمل الدين، (١٩٨٣م)، شرح التلخيص، تحقيق محمد مصطفى صوفيه، طرابلس، المنشأة العامة للنشر و التوزيع.

تفتازاني، سعد الدين، (١٤١١ه) مختصر المعاني، قم، دار الفكر.
خلف الربيعي، حامد صالح، (١٩٨٩)، التعريف في البلاغة العربية، جامعة ام القرى، رسالة ماجستر.
الجاحظ، ابی عثمان عمروبن بحر، (د.ت)، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع.
الخطيب القزويني، جلال الدين، (د.ت) الايضاح، شرح محمد عبدالمنعم خفاجي، القاهره، مكتبة الكليات الأزهر.
الدسوقي، عمر، (د.ت)حاشية الدسوقي على شرح السيد، بيروت، دار السرور.
الرازي، فخرالدين، (١٤٠٥هـ)تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير و مفاتيح الغيب، بيروت دار الفكر.
الرضي الاسترآباذی، محمد بن حسن، (د.ت) شرح كافية ابن الحاجب، تحقيق احمد السيد احمد، القاهره، المكتبة التوفيقية.
الزمخشري، جارالله، (١٣٩٢ه) الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق محمد صادق قمحاوی، مصر، مكتبة مصطفی البابي.
الزمخشري، جارالله، (١٣٩٩ه) اساس البلاغة، بيروت، دار صادر.
السبكي، بهاء الدين، (٢٠٠٣م)، عروس الأفراح فی شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبدالحميد هنداوی، المكتبة العصرية.
السكاكي، أبويعقوب، (١٩٨٧م) مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزور، بيروت، دار المكتبة العلمية.
السهيلی، ابوالقاسم، (١٩٩٢م) نتائج الفكر في النحو، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود و علی محمود معوض، بيروت، دارالكتب العلمية.
سيبويه، عمر بن عثمان، (١٣٧٩م) الكتاب، تحقيق عبدالسلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
عبد الرحمن، منصور، (١٤٠٤ه)، معايير الحكم الجمالی في النقد الأدبي، قاهره، مكتبة المعارف.
عبدالعزيز قلقيلة، عبده، (١٤٠٧ه) البلاغة الإصطلاحية، القاهرة، دار الفكر العربي.
القرطبی، محمد بن احمد، (١٩٦٦م) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق احمد عبدالعليم البروويني، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
القزويني، جلال الدين، ١٩٨٩، الإيضاح في علوم البلاغة، شرح و تعليق: محمد عبدالمنعم خفاجي، بيروت، الشركة العالمية للكتاب.
الكوفي، ابوالبركات عمر بن ابراهيم، (٢٠٠٢م) البيان في شرح اللمع لابن جني، تحقيق علاء الدين حمويه، اردن، دار عمان.
محمدابوموسی، محمد، (١٤٠٠ه) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، قاهره، مكتبة وهبة.

آفاق الحضارة الإسلامیة، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
دوفصل‌نامهٔ علمی (مقالهٔ علمی ـ پژوهشی)، سال ۲۴، شمارهٔ ۲، پاییز و زمستان ۱۴۰۰، ۱۴۳-۱۶۶

زیباشناسی معارف در سوره ملک

رمضان رضائی *
یدالله رفیعی **

چکیده

یکی از مسائل مهم در بلاغت مسئله معارف است که در ذیل مباحث علم معانی قرار دارد. به کارگیری معارف دارای اغراض بلاغی زیادی است که می‌توان آنها را در قرآن نیز ملاحظه کرد. در به کار گیری کلمه به صورت معرفه ترجیحی است که در به کار گیری آن به صورت نکره آن ترجیح وجود ندارد. معارف یکی از اسلوب‌های بلاغی است که متناسب با مقتضای حال آورده می‌شود. نحویان از جنبه اعراب و بلاغیان از جنبه بلاغی از آن بحث نموده و از اغراض و انگیزه‌هایی که به سبب آن کلمه معرفه آورده می‌شود، صحبت کرده‌اند. از آنجا که معارف در سوره ملک نیز دارای اغراضی است، مقاله حاضر این سوره را مورد بررسی قرار داده و سعی کرده است تا اسرار معارف در آن را تبیین کند. برای رسیدن به این هدف از روش توصیفی ـ تحلیلی بهره گرفته شده است. لذا این پدیده بلاغی در این سوره بررسی شده و معانی زیبای آن در برخی آیات مثل تعظیم، توبیخ، اختصار، ایجاز، تقریع مخاطب و غیره تبیین شده است. نتایج به دست آمده حاکی از آن است که ضمائر به عنوان یکی از معارف گاهی بر تمییز دلالت دارد و اشاره بر قرب حقیقی و گاهی برای توبیخ کفار می‌آید. موصول نیز در سوره برای افاده عظمت و تحقق غرض از آیه به کار رفته است. بقیه معارف نیز اغراض خاص خود را دارند.

کلیدواژه‌ها: قرآن کریم، سوره ملک، بلاغت، معارف.

---

* دانشیار گروه عربی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، تهران، ایران (نویسندهٔ مسئول)، drr_rezaei@yahoo.com

** استادیار گروه عربی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، تهران، ایران، Rafiei_y20@yahoo.com

تاریخ دریافت: ۱۴۰۰/۰۲/۱۴، تاریخ پذیرش: ۱۴۰۰/۰۶/۰۹

Copyright © 2018, IHCS (Institute for Humanities and Cultural Studies). This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International, which permits others to download this work, share it with others and Adapt the material for any purpose